نظرية التربية الإسلامية عند محمد الغزالي
دراسة تاريخية تحليلية
The theory of Islamic education according to Muhammad Al-Ghazali- Historical Analytical

رابح واكد[1]

[1] مخبر علوم التربية للتوجيه والإرشاد – جامعة يحي فارس –المدية –ouakedrabeh@yahoo.fr

تاريخ الاستلام : 2022/03/04 ؛ تاريخ القبول : 2022/06/12

ملخص : هدفت الدراسة إلى تحليل فكر الغزالي التربوي التي ضمنها في كتبه الأربعة (خلق المسلم ، الجانب العاطفي من الإسلام جدد حياتك ، وركائز الإيمان بين العقل والقلب) ومدى استجابة أفكاره التربوية لشروط بناء النظرية العلمية في التربية الإسلامية ، اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي التقييمي، وتوصلت إلى أن أفكار محمد الغزالي التربوية حققت الأسس الثلاثة (التاريخي ، الفلسفي ، والنفسي) في فهم التربية الإسلامية واستجابت لشروط بناء النظرية العلمية في التربية الإسلامية.

Abstract: The study aimed to analyze Al-Ghazali's educational thought which he included in his four books (The Creation of the Muslim, The Emotional Side of Islam ,Renew Your Life, and the Pillars of Faith between the Mind and the Heart) and the extent to which his educational ideas responded to the conditions for building a scientific theory in Islamic education. On the historical evaluation method, and concluded that Muhammad Al-Ghazali's educational ideas achieved the three foundations (historical,philosophical, and psychological) in understanding Islamic education and responded to the conditions for building a scientific theory in Islamic education.

الكلمات المفتاحية : نظرية – التربية الإسلامية – محمد الغزالي

* المؤلف المراسل.

1- مقدمة

يمثل الفكر التربوي الإسلامي تياراً من التيارات والاتجاهات التربوية الإنسانية، التي عرفها الإنسان وارتبط بها حضارياً ماضيًا وحاضرًا، وأنشأ بها نوعيات إنسانية، ونماذج مجتمعية، وأطر تنظيمية وعلاقات داخلية وخارجية حسب الغايات والأهداف، وكذا الفلسفات التي يتوخاها كل مذهب أو اتجاه من الاتجاهات التربوية

هذه الاتجاهات التربوية تطورت منهجيًا ومعرفيًا، مع تطور الإنسان وتغير المجتمع واتساع الحاجات والمطالب الفردية والمجتمعية، وضرورات الوجود القوي، والمركز الفاعل في الشؤون المحلية أو الشؤون الدولية وخصت هذه الاتجاهات بأهمية شديدة، وعناية فائقة، فاتسعت المعارف المختصة بها، وكثر الدارسون لتاريخيتها وفلسفتها وأنساقها النظرية والتطبيقية وعلاقاتها المعرفية بميادين معرفية أخرى على

تفاوت الاهتمام من مجتمع لآخر، وتطور الاهتمام بها من مجموعات بشرية إلى أخرى، نذكر من هذه الاتجاهات، الاتجاه التربوي الإسلامي، الاتجاه التربوي الطبيعي، الاتجاه التربوي البرغماتي، الاتجاه الروحاني، الاتجاه التربوي التكنولوجي وغيرها...

اتسم الفكر التربوي الإسلامي بماض عميق في صناعة إنسان الحضارة، وحضارة الإنسانية، المعروفة بالحضارة الإسلامية التي بدأت مع بدء الرسالة الإسلامية، ونزول الوحي على المربي الأول محمد صلى الله عليه وسلم، وبدايات تشكُّل المجتمع المسلم، وتجسّد تطبيقات التربية الإسلامية مع المجموعة البشرية الأولى التي بدأت مع الرسول صلى الله عليه وسلم، لأن أي بناء نفسي اجتماعي وثقافي وعقلي وعقيدي يخاطب العقل والقلب يبدأ بالتربية صميمًا، لتأتي بعد ذلك إمكانية التحول من حال إلى حال، واستطاعت التربية الإسلامية العملية في العصر الإسلامي الأول تشكيل النموذج البشري الذي وجهت إليه هدايات السماء والقدوة العملية النبوية، ومن ثمّة بناء المجتمع المسلم، الذي أفرز حضارة إسلامية، وأستاذية عالمية، غاية في النبل والأخلاق وخدمة الإنسانية، وغاية في تشريف الوحي السماوي على الأرض، وتحقيق الاستخلاف الذي أرادته العناية الإلهية.

وبهذه الصناعة الثلاثية (الفرد المسلم، المجتمع المسلم، أستاذية العالم)، تمكنت التربية الإسلامية من بناء تاريخ لها وصيرورة زمنية ومكانية تحيط بالمجتمع بالمسلم في كل مراحل تطوره وتقلباته، في قوته وضعفه، في استقامته وانحرافه، في قرية من توجيهاتها وبعده عنها... كونها المثل التي يعود إليه المجتمع في كل زمان، والأسلوب الصائغ للثلاثية السابقة.

وعلى امتداد التاريخ الإسلامي، ظلت التربية الإسلامية خزَّانًا يمد المجتمع بالمعارف المتنوعة التي تخدم شؤون الحياة المختلفة، وتحقق القوة المطلوبة لحماية الدين والدنيا معا، وبرزت للمجتمع الإنساني طاقات عقلية نادرة أسهمت في تطوير العلوم والمعارف المنقولة، وإبداع علوم ومعارف أخرى ألهمت العقل الإنساني على مر التاريخ وإلى يومنا هذا...

ونظرا لهذه الصيرورة الزمنية العريقة للتربية الإسلامية، ونوعية الإنتاج البشري الذي قدمته ولا تزال تقدمه للإنسان، انكب علماؤها على دراستها والبحث فيها من ناحية فلسفتها (محمد قطب، منهج التربية الإسلامية: 1980)، وأهدافها ومراحلها، ومناهجها وعلاقاتها وآدابها (أحمد الشرباصي، أخلاق القرآن، 1401: 1981)، ومعارفها وماضيها وحاضرها (أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية: 1970) لأجل إبراز دورها الحضاري ووظيفتها الإنسانية (سيد قطب، التربية في ظلال القرآن، 1981) (عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام).

وتراكم جهد العلماء والمربين المعرفي –في القديم والحديث– حتى شكّل تراثًا تربويًا يخص التربية الإسلامية وتأسست نظريات لخدمة أبعاد التربية الإسلامية المختلفة... وكونت هذه الجهود حقولا معرفية تعنى فقذ بدراسة التربية الإسلامية ، وفي التاريخ المعرفي المعاصر للتربية الإسلامية برزت رؤى ومناظر معرفية جديدة للتربية الإسلامية لعلماء مبرزين لأجل إبراز الدور الحضاري المتشعب لها، وإنقاذ المجتمع من وهدة

التخلف وتوجيهه إلى شروط النهوض، واللحاق بموكب المتقدمين، وإعادة النموذج الغائب، وطبيعي أنّ العودة ميؤوس من رجوعها إن لم تنطلق من التّربية الإسلامية.

والمربي الإسلامي محمد الغزالي اهتم لشأن التربية الإسلامية المعاصرة، واغتم لوضع الأمة الإسلامية المتخلف، والتخلي عن وظيفتها الحضارية والعجز عن حراسة الدين والدنيا. وعكف على طول جهاده العلمي والتربوي... في إبراز وظيفة التربية الإسلامية التي تمثل توجيهات الإسلام في كل مناحي الحياة، وإمكانياتها القوية في صناعة النموذج الغائب، إلى جانب الجهود العلمية الأخرى في الميادين –العقيدية والسياسية والاقتصادية والفكرية– وكاهتمام رئيس تركز الدراسة على إمكانية ان تشكل أفكار محمد الغزالي التربوية في بناء نظرية للتربية الإسلامية ولبناء تساؤلات إشكالية الدراسة يمكن طرح التساؤلين التاليين:

–تساؤلات الدراسة :

1– ما هي أسس نظرية محمد الغزالي في التربية الإسلامية؟

2– مدى استجابة فكر الغزالي التربوي لشروط بناء النظرية العلمية في التربية الإسلامية ؟

المفاهيم: تشمل الدراسة على جملة من المفاهيم العلمية، يجب إيضاحها وفقا للتعاريف العلمية المعتمدة هذه المفاهيم هي: النظرية، التربية الإسلامية، محمد الغزالي: كمضمون فكري لهذه التربية.

–مفهوم النظرية :

– **لغة** : جاء في" لسان العرب لابن منظور" بأن النظرية « ترتيب أمور معلومة على وجه يؤدي إلى استعلام ما ليس بمعلوم ، وقيل النظر : طلب عن علم » فالنظرية ترتيب وتنظيم لمجموعة من المعلومات بطريقة تمكننا من الحصول على معلومات جديدة أي الانتقال من المعلوم إلى المجهول . (ابن منظور، 1991).

– **في اللغة الفرنسية:** جاء في معجم **Robert** تعريفان للنظرية. فأما الأول فيقول:«هي مجموعة من الأفكار والمفاهيم المجردة المنظمة قليلا أو كثيرا والمطبقة على ميدان مخصوص». وأما الثاني فيرى بأنها:" بناء عقلي منظم ذو طابع فرضي...تركيبي"

–اصطلاحاً:

"النظرية هي مجموعة الأفكار والحقائق العقلانية والنظامية التي تم برهانها وإثباتها علميًا بعد إجراء الدّراسة الأكاديمية أو الميدانية" (الحسن، 1986).وفي دراستنا عن نظرية التربية الإسلامية عند محمد الغزالي، نتبع بالدرس والتحليل أفكارها وحقائقها العقلانية والنظامية، ومحاولة البرهنة عليها وإثباتها علميًا، وذلك بالاستناد إلى المؤلفات الغزالية في ميدان التربية الإسلامية، واختبارها وفق الشروط التّالية:

1– يجب أن تكون أفكار ومبادئ ومفاهيم النظرية مترابطة ومتكاملة بحيث تخلو مادتها من التناقض والتضارب، وتعبر عن أفكار أو مبادئ واضحة ومركّزة ومتسلسلة تسلسلاً نظاميًا ومنطقيًا بعيدًا عن التعقد والتشوش والارتباك.

2– ينبغي أن تكون المادة العلمية للنظرية مشتقة من طبيعة الواقع الاجتماعي الذي توجد فيه وينبغي أن لا تكون معتمدة على أفكار فلسفية أو لاهوتية أو ذاتية، حيث أن مثل هذه الأفكار لا تخضع إلى أساليب

التحليل والتجريب والفحص الميداني الموضوعي، كما يجب أن تكون النظرية قادرة على معالجة السلبيات وتناقضات الواقع الذي اشتقت من مادتها الأساسية معالجة موضوعية وحقيقية.

3- على النظرية أن تكون قادرة ومتمكنة من تفسير جميع الظواهر والملابسات التي تهتم بدراستها وتحليلها والتفسير ينبغي أن يكون عقلانيًا مستمدًا من طبيعة الظاهرة أو المشكلة المدروسة وليس تصورات وتخيلات ومقاصد ومصالح الباحث الذي يقوم لدراستها والاهتمام بها. (الحسن، 1986)

-مفهوم التربية الإسلامية:

لغة :التربية لغةً: التربية اسم مشتق من الربّ." الربّ: يطلق في اللغة على المالك والسيد والمُدِّبر والمُربيِّ والقيِّم والمُنعم. ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى، وإذا أُطلق على غيره فيقال: رَبُّ كذا.ويُقال: رَبَّه يُربِّه: أي كان له رَبّاً. وفيه " ألك نعمةٌ تُربيها" إي: تحفظها، وتُراعيها وتُربيِّها كما يُربي الرجل ولده. يُقال: رَبَّ فُلان ولده يَرُبُّه رَبَّاً ورَبَّتَه ورَبَّاه كله بمعنى واحد.والرباني هو: منسوب إلى الربّ بزيادة الألف والنون للمبالغة، وقيل هو من الرَّب بمعنى التربية.((الأثير، 1399هـ-1979م)

***إصطلاحاُ:**

يقول أبو حامد الغزالي (505هـ/1145م): "التربية تطور وصقل لملكات والاستعدادات الموجودة لدى الفرد فمعنى التربية يشبه فعل الفلاح الذي يقلع الشوك، ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع يتحسن نباته ويكمل ريعه" (البخاري، 1987).

ويقول ابن خلدون (1332، 1406): " مام يدل عل أن تعليم العلم صناعة اختلاف الاصطلاحات فيه، فلكل إمام من الأئمة المشاهير اصطلاح في التعليم يختص به شان الصنائع كلها، فدل على أنه ذلك الاصطلاح ليس من العلم وإلا لكان واحدًا عند جميعهم... وملازمة المجلس العلمية، وكثرة الحفظ والعناية بتحصيل العلم ليست جميعها المانحة ملكة التصرف في العلم وتعليمه... ومن أهم ما يلزم في المعلم فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة، والعمل على تحصيل الملكة التي هي صناعة التعليم" (شلبي، 1954)

يقول محمد سعيد رمضان البوطي: "التربية الإسلامية تسلك السبيل بالفرد المسلم على مرحلتين: الأولى: مرحلة العرض والمناقشة والإقناع، والثانية: مرحلة التعريف بماهية السلوك النموذجي الذي أمر به الإسلام ثم محاولة إيجاد أكبر قدر ممكن من الانسجام بين حياة الفرد المسلم وهذا السلوك النموذجي الذي أمر به الإسلام ثم محاولة إيجاد أكبر قدر ممكن من الانسجام بين حياة الفرد المسلم وهذا السلوك النموذجي المطلوب ((البوطي، 1995)

فالمفاهيم التربوية المعاصرة للتربية الإسلامية تتماثل وتقترب من بعضها كونها تستقي من مصدر واحد – الكتاب والسنة– من ناحية، وترتبط بالنموذج التطبيقي الأول الذي حقق متطلبات هذه التربية والذي هو مجتمع الصحابة من ناحية أخرى.

-المفهوم الإجرائي:

المقصود بالتربية الإسلامية عند محمد الغزالي جملة الأفكار والآراء والحقائق والمشكلات التربوية التي أنتجها محمد الغزالي في كتبه ومؤلفاته العديدة عمومًا ومؤلفاته التربوية خصوصًا وهي: (خلق المسلم)،

(جدد حياتك)، (الجانب العاطفي من الإسلام)، (ركائز الإيمان بين العقل والقلب) وعالج بها مختلف المشكلات التي يراها ذات علاقة بالتربية. تحلل الدراسة المقومات والبناءات والمقولات مع الاستدلال والبرهان تبعًا لأدوات المنهج التاريخي التقييمي.

-أهمية البحث:

1- البحث التربوي في الجزائر يحتاج إلى هذا النوع من الدراسات نظرًا لكثير من العجز في التناول المعرفي النظري لمشكلة النظام التعليمي في الجزائر.

2- التربية الإسلامية كبعد من الأبعاد الأساسية للمنظومة الجزائرية التربوية، وكمادة من المواد المدرسة في أطوار التعليم المختلفة، وهذه الأهمية حيوية.

3- نماء أي مجتمع ينطلق من التربية أولا ومن ثمة فالمجتمع الجزائري يحتاج إلى تربية نابعة من مقومات هويته وكذا المجتمعات العربية والإسلامية الأخرى، تستفيد منها الطفولة ويستفيد منها الشباب والنساء والشيوخ في التربية الإسلامية (كما هي في الفكر الغزالي).

4- أزمة المجتمعات العربية والإسلامية تربوية في الأساس، من هذه الدراسة معالجة (من فكر الغزالي) لهذه الأزمة وبيان حلولها...

-أهداف البحث:

1- المساهمة في إنضاج العلم بالتربية الإسلامية، نظرًا لوجود نظريات التربية الإسلامية من قبل علماء ومربين مسلمين.

2- تفسير الظواهر الغامضة والواضحة، والتفاعلات الثانوية والأساسية، وكذا المشكلات والتناقضات الحاصلة في المجتمع العربي والإسلامي ذات العلاقة بالتربية الإسلامية.

3- مدى المعالجة الموضوعية لهذه المشكلات من قبل المربي محمد الغزالي، والتي تدفع المجتمع إلى التطور والازدهار.

4- إغناء الفكر التربوي الإسلامي المعاصر بهذا الجهد التربوي المعاصر، وبيان جدته وسبقه واتساع اهتماماته.

6- إبراز المفاهيم والمصطلحات الفنية التي اشتملت عليها النظرية، كونها أي المفاهيم بمثابة تلخيص كثير من الحقائق التي تتكون منها النظرية العلمية (إحسان محمد الحسن، الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي، 1986: 29).

7- تحدد النظرية ميادين الدراسة في ميدان التربية الإسلامية، كما تحدد نوع الحقائق التي ينبغي أن يتجه إليها الباحث في ميدان دراسته (إحسان محمد الحسن، المرجع نفسه: 29).

-منهجية البحث:

تعتمد الدراسة على المنهج التاريخي التقييمي، نظرًا للطبيعة النظرية التحليلية للبحث، فالمنهج التاريخي تعريفًا يقوم باسترداد الماضي تبعًا لما تركه من آثار أيا كان نوع هذه الآثار وهو المنهج المستخدم في العلوم التاريخية والأخلاقية" (عبود، 1979) فدراسة نظرية التربية الإسلامية عند محمد الغزالي تحتاج إلى استجلاء طبيعة البيئة العلمية والتربوية التي عايشها صاحب النظرية، وإيضاح خصائصها وميزاتها، وهي

عنصر ماضوي يحتاج إلى منهج تاريخي للإيفاء بذلك، كما أن الشخصية التربوية إفراز لمعطيات البيئة العلمية والتربوية.

يتم توظيف المنهج التاريخي وفق المراحل المنهجية الآتية:

أولا: اختيار موضوع البحث والمقصود به ،ثانيا: جمع الحقائق: ثالثا: أنواع المصادر التاريخية:1- المصادر الأولية: الوثائق:2- المصادر الثانوية: رابعًا :نقد وتحليل المادة العلمية التي جمعت والفحص الناقد للمصادر والمعلومات يتضمن عمليتين متميزتين، هما: النقد الخارجي، والنقد الداخلي، أولا: النقد الخارجي: ثانيا: النقد الداخلي: وهو نوعان إيجابي وسلبي. 1-النقد الداخلي الإيجابي:2- النقد الداخلي السلبي: الخطوة الرابعة: صياغة الفروض وتحقيقها :الخطوة الخامسة: استخلاص النتائج العامة. (الشيباني، 1996).

2- محمد الغزالي الميلاد والمسار العلمي:

ولد المربي الإسلامي الكبير أحمد السقا محمد الغزالي بقرية -نكلا العنب- في 22 سبتمبر 1917 بمصر العربية، ، وقرية نكلا العنب التي تربى ونشأ فيها محمد الغزالي، أنجبت العديد من المشاهير البارزين في ميادين الإصلاح والعلم، والأدب (كالشيخ سليم البشري، الشيخ إبراهيم حمروش، والشيخ محمد عبده، والمصلح حسن البنا، والدكتور محمد البهي... وغيرهم) (مسعود فلوسي، 1999) التحق بالكتّاب وعمره خمس سنوات، وما أن بلغ عشر سنوات حتّى أتم حفظه كله (محمد الغزالي، نظرات في القرآن: 266).وتكونت عاطفته مع بواكير نشأته الأولى إزاء القرآن يصفها قائلا "فمع الحشد الهائل من الآيات التي حشيت بها عقولنا، أجد في نفسي عواطف شتى تكتنف هذا التراث المحفوظ" (الغزالي، 2005).

بعد إتمامه لحفظ القرآن الكريم ألحقه والده بمعهد الإسكندرية الديني في1928 ليتمدرس به تسع سنوات كاملة واضطر والده لبيع دكانه الذي كان يقتات منه في نكلا العنب رغبة في تعليم ولده "فضللت وإن كان قد لاحظ أبي في أسف أني آبى القراءة في الكتب الدينية، وأوثر مطالعة الروايات الأجنبية، وربما فضلت قراءة ألف ليلة وليلة على ما يختار لي من كتب" (الغزالي، قصة حياة، 1995).

ارتبط في المعهد فكريا وروحيا بعدد من العلماء المرموقين أثروا فيه تأثيرًا يمس عمق الإنسان، وينفذ إلى أغوار النفس، من خلال النماذج العملية للتربية النفسية، التي تلقاها من الشيخ إبراهيم الغرباوي والشيخ عبد العزيز بلال، يقول عنهما: "وكانا يشتغلان بالتربية النفسية ولهما درجة عالية في العبادة والتقوى، وكانا يمزجان الدرس برقابة الله، وطلب الآخرة وعدم الفتنة بنيل الإجازات العلمية، لأن للألقاب العلمية طنيناً ربما ذهب مع الإخلاص المنشود في الدين" (الغزالي، قصة حياة، 1995) وتأثر محمد الغزالي، بالشيخ عبد العظيم الزرقاني المدرس بكلية أصول الدين صاحب (كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن) وبالإمام محمود شلتوت، والإمام الحجة في الفقه الإسلامي محمد أبو زهرة وغيره من العلماء الكبار الذين أثروا الفكر الإسلامي بتآليفهم القيمة.

3-محمد الغزالي ومدرسة حسن البنا:

شخصية حسن البنا "رحمه الله" تفردت بالأثر الحاسم في شخصية محمد الغزالي وصوغ وتشكيل فكره وتوجيه طاقاته النابهة في خدمة الإسلام وحراسة الفضيلةكونه: "مدرسة، فكرًا وفقها ودراية بالواقع الإسلامي في مراحله الراهنة وأسلوبه وإعمال بصيرته في الأحداث المعاصرة جعلته في طليعة العلماء في العصر الحديث" (الغزالي ،1417هـ 1996).

ومن الأسباب العميقة لتأثر محمد الغزالي بمدرسة حسن البنا، "قدرة هذا الأخير على معالجة الوقائع الحية بالحقائق الإسلامية، وبديهي أنه يريد بهذا التعبير المكثف الإشارة إلى استيعابه لمشكلات عصره وإدراكه التحق محمد الغزالي بكلية أصول الدين بالأزهر عام 1938 يثني على مناهج الأزهر التعليمية فيقول: "إن المناهج الموضوعة تكفي وتشفي ولو وجدت الأستاذ الكفء لخرجت دعاة ومدرسين من طراز رفيع، إن الطريقة التي تعلمنا بها تفتق الأذهان وتحرر وتضبط المفاهيم" (الغزالي م.، قصة حياة، 1995) ارتبط تكوينا بعلماء راسخين متضلعين في تخصصاتهم ومعارفهم كمحمد أبي زهرة ، ومحمد أحمد الغمراوي وأمين الخولي وعبد الوهاب عزام، وعبد الوهاب خلاف، محمد الخضر حسين، ومحمد البهي، ومحمد عبد الله ماضي والعلامة محمد عبد الله دراز ومحمد يوسف موسى ومحمد الأودن.

4-إنتاجه العلمي :

قدم العديد من الدراسات المهتمة بالفكر والتربية والسياسة والدعوة وعلوم القرآن والسنة ، ففي الشأن الدعوي مثلا كتب "جهاد الدعوة بين عجز الداخل والخارج: 1991" "مع الله، دراسات في الدعوة والدعاة: 1989""والدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر: 1990"، "هموم داعية: 1985" "في موكب الدعوة: 1975" واهتم اهتمامًا بالغًا بالدراسات القرآنية وشكّل محور القرآن الكريم مركزًا رئيسيًا في كل إنتاجه الفكري لأنه يعتبر القرآن كتابًا" لا يمكن عزله عن الحياة أبدًا، وهل نزل إلا ليخطئ أو يصوّب من أفكارها؟ وإلا ليمحوا أو يثبت من أحوالها؟ إنه كتاب الحياة المفعمة المتجددة على الدهر ولكنها الحياة القائمة على الحق الدارجة على الصراط المستقيم" "محمد الغزالي، نظرات في القرآن " ، فكتب "المحاور الخمسة للقرآن الكريم: 1989" "وكيف نتعامل مع القرآن، 1989"، "نظرات في القرآن، 1986"، والمؤلف الذي يعتبر باكورة بحوثه ودراساته القرآنية وإبداعًا متفردًا في دراسة الوحي، وبعث معرفي ومنهجي لتفسير جديد يتناول سور القرآن الكريم، ويعتبر مؤلفه من المبرزين والسابقين في عمله هذا المؤلف هو "نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم" " (قطب، 1988) وتفاعل مع التيارات المذهبية والفلسفية التي كانت تنتشر انتشاراً كبيراً في العالم العربي والإسلامي ، فكتب عن " الإسلام والأوضاع الاقتصادية "1947-والإسلام والأوضاع الإشتراكية في السنة ذاتها والذي يعد تكملة لكتابه الأول " الإسلام والأوضاع الاقتصادية " واهتم بشأن الاستعمار فكتب " الاستعمار أحقاد وأطماع " وكتب عن الاستشراق وتوسعت اهتماماته توسعاً يصعب على الحصر ، وفي حوزته ما يزيد عن الخمسين كتاباً.

5-وفاته:

استدعي الغزالي للمشاركة في مهرجان الجنادرية الثقافي، وفي اليوم الرابع من أعمال هذا المهرجان وخلال استعداده للتعقيب على إحدى المحاضرات، جاء قضاء الله بقبض روحه الطاهرة حيث أصيب بنوبة قلبية نقل إثرها إلى المستشفى حيث لفظ أنفاسه الأخيرة وصعدت روحه الطاهرة إلى بارئها عزّ وجل مساء يوم

السبت 9 مارس 1996، وتم نقل جثمانه إلى المدينة المنورة حيث دفن في مقبرة البقيع بالمدينة المنورة، وقبره في موضع متميز قريب جدًا من قبر الإمام مالك وبين قبر الإمام نافع أحد القراء السبعة، رضي الله عنهم جميعًا (مسعود فلوسي ، 1999).

6-منهج محمد الغزالي في دراسة التربية الإسلامية:

المنهج العلمي وسيلة للتفكير المنهجي المفيد للفرد والجماعة في المجتمع، وترتبط به الدراسات المعاصرة ارتباطًا وثيقا بنوعها (الطبيعية الكونية والإنسانية والاجتماعية)، وأصبح يمثل شرطًا أساسيا لتمثل العملية في التفكير والموضوعية في التناول والدراسة، والقانونية والقواعدية في النتائج والمخرجات وتطور الفكر الإنساني تطورا مذهلا بفضل تطبيقات المنهج العلمي (التجريدي، التاريخي، الوصفي، المقارن، العلي الارتباطي...) في البحث الإنساني.

وعرف فكر التربية الإسلامية تناولات منهجية مختلفة كونت أربعة اتجاهات مختلفة، آداب المعلمين محمد بن سحنون –الاتجاه الفقهي– تهذيب الأخلاق لابن مسكويه– الاتجاه الفلسفي– كتاب العلم لأبي حامد الغزالي– الاتجاه الصوفي– ومقدمة ابن خلدون– الاتجاه الاجتماعي، فالاتجاه الأول استخدم المنهج الأصولي التحليلي، وبينما يوظف الثاني المنهج التحليلي الفلسفي واستعمل الثالث المنهج الأصولي التحليلي مع الاستعانة بالمنهج التاريخي، استند الأخير إلى المنهج التاريخي إلى جانب استدعاء المنهج المقارن، وأضيف اتجاه خامس –حسب اجتهاد بعض المفكرين التربويين المعاصرين– هو الاتجاه العلمي الذي ارتكز على تطبيقات المنهج التجريبي.

محمد الغزالي من المربين المعاصرين المهتمين بشأن التربية الإسلامية، استند معرفياً إلى التاريخ المنهجي المعرفي القديم، واستوعب المناهج الدراسية المعاصرة المتصلة بالمناهج القديمة أنتج فكرًا تربوياً يستجيب لمتطلبات التربية الإسلامية المعاصرة بالنظر إلى تطور المجتمع المعاصر –المسلم وغير المسلم– ويتلاءم مع معطيات الثقافة المعاصرة المشبعة بروح الموضوعية والفكر العلمي فاستعمل المنهج الأصولي التحليلي خلق المسلم كنموذج–، –والمنهج التحليلي المقارن– جدد حياتك– والمنهج التحليلي التاريخي الأصولي –الجانب العاطفي من الإسلام –والمنهج الأصولي الاجتماعي ركائز الإيمان بين الإيمان والعقل–فاستدعى الغزالي المناهج الأربعة، ووظفها في دراسته التربوية المعاصرة، واستفاد أيضًا من المنهج العلمي في إيراد الأمثلة الواقعية والعلمية في التدليل على تحليلاته ومناقشته لموضوعات التربية الإسلامية ، ولا يسعنا في دراستنا هذه التحدث عنها كلها بل نقتصر على منهجه الأصولي التحليلي في كتابه " خلق المسلم "

يقول متحدثا عن منهجه فيه "...واكتفيت بما سقت من آيات، وذكرت من أحاديث، فلم أستطرد إلى إيراد الشواهد الأخرى من أقوال الأئمة وحكم العباد والمتأدبين –على كثرتها في تراثنا القديم– لأني قصدت أن أرجع إلى الشريعة وحدها وأن أعرض جانب التربية منها، على أنه توجيه إلهي، يطالب المسلم بالتزامه، ويعتبر مقصرا في حق الله، حيث يعرض عنه وفرق بين المطالبة بأدب ما على أنه عام وبين التكليف به على أنه دين كسائر العبادات المفروضة في هذا الدين" (الغزالي ،خلق المسلم، 1418هـ، 1987).

واضح من هذا التقديم المنهجي الغزالي لمؤلفه التربوي، أن طريقته في عرض المادة التربوية تقتصر على الشواهد القرآنية والنبوية وحدها، دون تناول التراث التربوي القديم أو المعاصر ويعلل هذا المنهج الدراسي بأن الجانب التربوي جزء من الشريعة الإسلامية يجب تمثله واعتباره توجيهًا إلهيًا ربانيًا صادرًا لأجل الالتزام السلوكي والأخلاقي به، وليس مجرد نصوص يستوعبها العقل، وتنشط بها الحركة العقلية لأن النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول بشأن التربية والخلق "الإسلام حسن الخلق" حين سئل عن الإسلام، فحصر الإسلام كله في السلوك الحسن، والفرد الذي يتنصل من منظومة التربية الإسلامية، يعتبر مقصرًا وجافيًا عن المضمون الرباني للتربية وتفريطًا في حق الله...

ويلتفت الغزالي إلى أهمية الأثر الإنساني في فعل الخير، وتربية السلوك الإنساني، ونقل النفس الإنسانية من الحالة المنحرفة إلى الوضع المستقيم، وصناعة التغيير العالمي، بيد أنه يعتبر النبي –صلى الله عليه وسلم– عمدة التربية النموذجية، والخلق الإنساني الرفيع، لأن التربية النبوية صيغت صياغة ربانية، يقول الغزالي: "ولسنا نغمط فضل أحد نشد الخير للناس، واجتهد في إنارة السبل أمامهم.. بيد أننا نلفت أنظار المنصفين إلى أساليب التربية الناجعة، والأخلاق الرائعة التي جاء بها صاحب الرسالة الخاتمة ونقل بها العام من الغي إلى الرشاد، وسوف يرون أن في الإسلام كنوزًا حافلة بالنفائس دونها ما ورث الناس من فلسفة اليونان والرومان" (الغزالي ،خلق المسلم، 1418هـ، 1987).

في اكتفاء الغزالي النقلي بالآيات والأحاديث في عرضه للتربية الإسلامية، يتجلى منهجه الأصولي المتبع الذي اتبعه المفكرون التربويون المسلمون القدامى، كأبي حامد الغزالي، وابن سحنون وغيرهما، وتعليله بالجانب التشريعي التكليفي والمصدرية الربانية التي تلخص السلوك البشري وتبرزه كأثر للتوجيه الديني الأخلاقي، في بيان هذه النقل الشواهدي لا يغفل الغزالي دور القراءات الفلسفية التي استفاد منها في بحث المسألة التربوية ليؤكد كمال صورة التربية الإسلامية عند المربي محمد –صلى الله عليه وسلم– إلى حقيقة يلمسها الواقع والناس معًا، بعد أن تمثلها النبي في شخصه الكريم وحوّلها إلى أمته.

واشتمل كتاب خلق المسلم على العديد من الفضائل التي أمر بها الإسلام، ولم يقصد الغزالي في إيرادها الترتيب والتفضيل، بل جاء تتاليها وتتابعها عاديا، وكنموذج على منهجية الغزالي الأصولية التحليلية لها يدرس الغزالي –الصدق– كأول فضيلة بدأ بها كتابه، يستهله بتمهيد قائلاً "إن الله خلق السماوات والأرض بالحق، وطلب إلى الناس أن يبنوا حياتهم على الحق فلا يقولوا إلا حقًا ولا يعملوا إلا حقًا، وحيرة البشر وشقوتهم ترجع إلى ذهولهم عن هذا الأصل الواضح، وإلى تسلط أكاذيب وأوهام على أنفسهم وأفكارهم أبعدتهم عن الصراط المستقيم وشردت بهم عن الحقائق التي لا بد من التزامها، ومن هنا كان التمسك بالصدق في كل شأن وتحريه في كل قضية، والمصير إليه في كل حكم دعامة ركينة في خلق المسلم، وصبغة ثابتة في سلوكه وكذلك كان بناء المجتمع في الإسلام قائما على محاربة الظنون ونبذ الإشاعات واطراح الريب، فإن الحقائق الراسخة وحدها التي يجب أن تظهر وتغلب وأن تعتمد في إقرار العلاقات المختلفة" (الغزالي ،خلق المسلم، 1418هـ، 1987).

وفي خطوة منهجية أخرى، يضع الغزالي فضيلة الصدق، في الموضع الإسلامي المرتبط بها، أي علاقتها بالخلق الإسلامي المرتبط بالدين –عقيدة وشريعة– أي الوزن القيمي والخلقي في الميزان الإسلامي،

فالغزالي يرى أن التمسك بفضيلة الصدق ينسحب على جميع الشؤون والأحوال ويتحرى في كل قضية، والانتهاء إليه في كل حكم أي العلاقة الشمولية وليس الجزئية بتفاصيل ودقائق حياة المسلم بالمنظار الإسلامي طالما أن الحياة برمتها متوجهة صميما إلى الله وحده عزّ وجل فالصدق بهذه المواصفات الشاملة، يقيمه الغزالي بأنه دعامة ركينة في خلق المسلم وصبغة ثابتة في سلوكه.

بعد تحليل الغزالي لعلاقات الصدق الكونية والاجتماعية والإسلامية والحضارية، يبحث في الشواهد النبوية والقرآنية، التي تتناول فضيلة الصدق بالشرح والإبانة "قال الرسول –صلى الله عليه وسلم–: "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث –البخاري– وقال: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة –الترمذي– وقد نعى القرآن على أقوام جريهم وراء الظنون التي ملأت عقولهم بالخرافات وأفسدت حاضرهم ومستقبلهم بالأكاذيب فقال: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾ (النجم:23) وقال: ﴿ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۖ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ (النجم : 28) (الغزالي، خلق المسلم، 1418هـ، 1987) .

ويتجه الغزالي بعد تحليل فضيلة الصدق إلى إثبات النقيض الخلقي –الكذب– ويتبع نفس العرض المنهجي لفضيلة الصدق "والكذب رذيلة محضة تنبئ عن تغلغل الفساد في نفس صاحبها وعن سلوك ينشئ الشر إنشاء، ويندفع إلى الإثم من غير ضرورة مزعجة، أو طبيعة قاهرة، هناك رذائل يلتاث بها الإنسان، تشبه الأمراض التي تعرض للبدن، ولا يصح منها إلا بعد علاج طويل، كالخوف الذي يتلعثم به الهيابون، أو الحرص الذي تنقبض به الأيدي، إن بعض الناس إذا جند للجهاد المفروض، تقدم إليه وجلده مقشعر وإن بعضهم إذا استخرجت من الزكاة الواجبة، أخذ يعدها وأصابعه ترعش، وهذه الطباع التي تتأثر بالجبن أو البخل غير الطبائع التي تقبل على الموت في نزق يوقفون المال بغير حساب، وقد تكون هناك أعذار لمن يشعرون بوساوس الحرص أو الخوف، عندما يوقفون في ميادين التضحية والفداء، ولكنه لا عذر البتة لمن يتخذون الكذب خلقا ويعيشون به على خديعة الناس" (الغزالي ،خلق المسلم، 1418هـ، 1987).

يعرف رذيلة الكذب، وكوامنها النفسية ومنشأها وأسبابها، ويعطي النموذج الواقعي القريب من الثقافة المعاصرة، ففي مقابل الشجاعة والقوة ينشأ الجبن، وفي مقابل الجود والكرم ينشأ البخل وقد تستبين دوافع كل من السلوكين، ويصوغ المسلك السلبي ويبرر كالجبن والبخل مثلاً، لكن الكذب لا يمكن تبريره وتسويغه، ويسوق الغزالي هذا الفهم السلوكي التربوي لرذيلة الكذب بناء على فهم النص النبوي، الذي أورده قال الرسول –صلى الله عليه وسلم–: أيكون المؤمن جبانا؟ قال: نعم، قيل له أيكون المؤمن بخيلاً؟ قال: نعم، قيل له أيكون المؤمن كذابًا؟ قال: لا...–مالك– ويورد بعض النماذج الحياتية التي ترتكز في أداء وظائفها ومهامها على الكذب الذي ينقلب أثره الضار على المجتمع فيفسد قيمه ويضعف إمكانات التماسك الاجتماعي" وكلما اتسع نطاق الضرر إثر كذبة يشيعها أفاك جريء كان الوزر عند الله أعظم فالصحافي الذي ينشر على الألوف خبرًا باطلاً والسياسي الذي يعطي الناس صورًا مقلوبة على المسائل الكبرى وذوا

الغرض الذي يتعمد سوق التهم إلى الكبراء من الرجال والنساء أولئك يرتكبون جرائم أشق على أصحابها وأسوأ عاقبة" (الغزالي م.، خلق المسلم، 1418هـ، 1987).

ويستطرد الغزالي في إيراد الشواهد النبوية لإيفاء الصورة السلبية المرتبطة برذيلة الكذب ويعقب الدليل بالتحليل المرتبط بمعناه، ويهتم في خطوة منهجية أخرى بعملية التنشئة والتربية على فضيلة الصدق وأهمية غرسها وترسيخها في نفوس الأطفال "والإسلام يوصي أن تغرس فضيلة الصدق في نفوس الأطفال، حتى يشبوا عليها وقد ألفوها في أقوالهم وأحوالهم كلها عن أبي هريرة عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: من قال لصبي تعال، هاك، ثم لم يعطه فهي كذبة –أحمد–.

7–محمد الغزالي وفكر التربية الإسلامية :

–المفهوم :

يعرفها الغزالي قائلا " والتربية الإسلامية الأولى اوغلت إلى حد هائل في دراسة النفوس وأحوالها والقلوب وأطوارها مستهدفة من هذه الدراسة جعل السعادة العظمى تتبع من داخل الإنسان لا من خارجه مغرية المر بأن يرتقب في آفاق نفسه وحدها كواكب اليمن والإقبال والبركة ، فإن طلعت بعد طول الرياضة والتجرد وصدق اليمن والإخلاص فهيهات أن يدرك شعاعه أفول ، وعندما يصل السالك إلى هذا الشأو يقولون نحن في لذة لو عرفها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف " (الغزالي ، 2005) فالنموذج النبوي العملي في الحياة الإسلامية الأولى يشكل مصدراً نظرياً وعلمياً لمفهوم الغزالي للتربية الإسلامي .

فالمفهوم الغزالي للتربية الإسلامية يبدأ مع النموذج الأول (الأسوة) ويمتد إلى فحص الواقع الاجتماعي الإسلامي وعلاقته بحيثيات ومواصفات النموذج لبيان نمو المسافة التباعدية بينه وبين وضع التربية المعاصرة إذ التربية الإسلامية عملية وليست نظرية يراد منها صياغة النموذج البديل الفردي والجماعي عن النموذج الجاهلي –قبل البعثة – أو البدائل المعاصرة اللادينية ، إلى جانب أن التربية الإسلامية يتفاوت موقعها التاريخي مؤثر إلى متأثر ومن نشاط قائد إلى خامل مقود حسب القوة الحضارية التي يرتبط بها أجيال التربية الإسلامية ، فحالها يتارجح بين القوة والضعف .

يقول الغزالي " بيد أن هذه الرياضات النفسية وما ينشد منها أصابها من التطرف والفوضى ما أزرى بنتائجها ، إذ أن متصوفة المسلمين الأوائل انحصروا في تصوراتهم وغالوا بالنتائج الشخصية التي أحرزوها وحاولوا أن ينظروا من خلالها إلى حقائق الكون والياة الطبيعية فضلوا وأضلوا " (الغزالي ، 2005) فالسمة الاعتزالية والنظامية للتربية الإسلامية الأولى اهتزت بفعل التطرف وتسرب الفوضى إلى حياة المجتمع الإسلامي – بعد الحضارة – وابتعد السلوك الإسلامي عن الواجب الاجتماعي والدور الحضاري المنوط به كسلوك نافع يستجيب لمتطلبات المجتمع وينفتح على مشكلاته وهمومه بهدف المعالجة والإصلاح ، وهذه العلاقة الإيجابية مع المحيط الخارجي – الاجتماعي تتطلب جهداً اجتماعياً وعزيمة تتحدى العوائق المثبطة .

8–الإجابة عن تساؤلات الدراسة :

السؤال الأول :– ما هي أسس نظرية محمد الغزالي في التربية الإسلامية؟

8–1–الأساس التاريخي :

فالأساس التاريخي "يعني أصول النظرية التربوية الإسلامية في القرآن الكريم والسنة الشريفة، لأنهما يحتويان على خطوط عريضة تحدد أسس التربية وأهدافها، وميادينها ومناهجها، وأساليبها ووسائلها بحيث تتدرج في إعداد الإنسان المتعلم إعدادًا فكريًا نفسيًا ووظيفيًا مراعية في ذلك استعداداته وقدراته وحاجات المجتمع الذي يعيش فيه، وهي أصول مرنة تنفتح على تجارب الآخرين وتراعي ظروف التطور في الزمان والمكان حسب ماجد عرسان الكيلاني" (الكيلاني، 1409هـ-1987م) ويستتبع ذلك دراسة التراث دراسة علمية موضوعية تاريخية.

فالأساس التاريخي في فكر الغزالي التربوي تجلى بشكل واضح في المنهج العلمي الذي أسمته الدراسة بالمنهج التكاملي الذي وظفه الغزالي في دراسة التربية الإسلامية مستفيدًا من المناهج التربوية التراثية (الأصولي التحليلي، التحليلي الأصولي، الاجتماعي المقارن) إلى جانب المعارف التربوية والنفسية المعاصرة، ونقطة الارتكاز المعرفية التي انطلق منها الغزالي هي القرآن والسنة، في كتبه التربوية الأربعة، وغيرها من الكتب الأخرى التي اشتملت على أفكار تربوية، حيث اعتبر القرآن الكريم كتاب تربية يكرر عن عمد أسماء الله الحسنى ليغرس أثرها في شغاف القلوب " والتأديب المثمر يحتاج إلى تربية طويلة ، ويتطلب تعهداً مستمراً " (الغزالي م.، خلق المسلم، 1418هـ، 1987) ويثبت نقولاً من الكتاب والسنة في كتابه خلق المسلم توجه المسلم إلى الفضائل التي يرتبط بها دينه وتصلح بها دنياه وأخراه جميعًا.

ويقول في كتابه -الجانب العاطفي من الإسلام- " جهدي أن أنحي في هدوء تلك الشوائب الغريبة وأن أعود بالمادة الإسلامية الصرف إلى موضعها الخالي منها لتحتله إلى جوار مثيلاتها من حقائق الإسلام الأخرى معتمداً على كتاب الله وسنة رسوله ومتتبعاً خطوات الأسلاف من رجالات الإسلام الذين سبقوا بإنارة الطريق وتمهيده للسالكين " (محمد الغزالي ، الجانب العاطفي من الإسلام بحث في السلوك والخلق والتصوف : 7) فالغزالي في عمله التربوي يستند إلى الوحيين (القرآن والسنة) أولا ثم إلى جهود العلماء والمربين السابقين ، مثلما دأب عليه العلماء قديما وحديثاً ، فابن القيم قديما (691-751) في كتابه " إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان " وبالضبط في بابه الأول " في انقسام القلوب إلى صحيح وسقيم وميت " يورد النص القرآني ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنِينَ إِلَّا مَنُ اتِىَ الله بقلب سليم ﴾(الشعراء : 88-89) وأفاض في شرحه ، ثم أورد نصا قرآنيا آخر ، هو قوله تعالى ﴿يَأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَينَ يَدَيِ اللهَ وَرَسُولِهِ ﴾(الحجرات : 1) ثم يقول : أي لا تقولوا حتى يقول ، ولا تفعلوا حتى يأمر ، قال بعض السلف : ما من فعلة وإن صغرت إلا وينشر لها ديوانان : لم ؟ وكيف ؟ أي لم فعلت ؟ وكيف فعلت ؟ (الجوزية، 1995) فهو يستند إلى النص بداية ويستحضر أقوال السلف ويقوم بجهد التحليل والمناقشة .

على نفس المنوال أيضا كتب يوسف القرضاوي في سلسلته التربوية " تيسير فقه السلوك في ضوء القرآن والسنة " فقال " والتصوف باعتباره تراثاً في التربية الأخلاقية والسلوك الإيماني لا يمكن الاستغناء عنه كما لا يمكن الاستغناء عن تراث الفقه في معرفة الأحكام الظاهرة ، ولهذا ظل في نفسي خاطر يراودني من زمن وهو الكتابة في هذا الجانب الروحي أو الرباني ، أو الإيماني ، أو الأخلاقي الذي سماه العلامة أبو الحسن الندوي " ربانية لا رهبانية " كتابة تستمد من القرآن والسنة ، وتستفيد من سلف الأمة

، ومن تراث القوم الرحب ، وتزنه بميزان الشريعة المعصومة ، وتصله بقيم الإسلام الشامل المتوازن ، وتترجمه إلى لغة العصر ، بحيث يفهمه طالبوه ، ويتعاملون معه بيسر " (القرضاوي، 1425هـ-2004م) سلك الغزالي في تصوره للتربية مسلك سابقيه من العلماء ومعاصريه والذين جاءوا من بعده ، فانطلق من القرآن والسنة ، واستفاد من سلف الأمة ، لأن تاريخ التربية طويل يحفل بجهود المربين والمتصوفين الذين مارسوا التربية أو التصوف أو نظروا له فكراً ، وقد رأى القرضاوي في بيان منهجه في دراسته السلوكية " أن نرد التصوف إلى جذوره الإسلامية مستمدين من محكمات القرآن وصحيح السنة المطهرة ، وأن أنقي التصوف الحق مما علق به من شوائب كدرت صفاءه ، وشابت جوهره ، مما تأثر به من مصادر أجنبية غريبة عن طبيعة الإسلام ووسطيته ، ومما دخل عليه من أوهام البشر وأهوائهم وتجاوزاتهم المائلة إلى الغلو حينًا ،وإلى التقصير حينا آخر ، ودين الله كما قال سلف الأمة بين الغالي فيه والجافي عنه (القرضاوي، 1425هـ-2004م).

وحرص في كتابه -جدد حياتك- على إحياء الحكمة العربية الأولى -كجانب تراثي- يثري المعارف الدينية والعلمية وعزم فور الانتهاء من قراءة كتاب -دع القلق وابدأ الحياة- أن يرد الكتاب إلى أصوله الإسلامية -القرآن والسنة- للاتفاق الحاصل بين أقوال الفلاسفة والمربين وبين الآيات الثابتة والأحاديث المأثورة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من وجوه لا حصر لها، كدلالة على التقاء وحي التجربة ووحي السماء." فديل كارنيجي " لا يعرف الإسلام ولو عرفه لنقل منه دلائل تشهد للحقائق التي قررها أضعاف ما نقل من أي مصدر آخر ، إن الفطرة السليمة سجلت وصاياها في هذا الكتاب بعد تجارب واختبارات وما انتهت من تسجيله جاء صورة أخرى للحِكَم التي جرت على لسان العربي الكريم محمد بن عبدالله منذ قرون " (الغزالي ، جدد حياتك ، 1995).

فالميراث التربوي التاريخي حاضر بقوة في كتب الغزالي التربوية ، ويكاد يكون منطلقاً عميقاً في فهم الظاهرة التربوية وتحليل أبعادها ومكوناتها إذ " وظيفة الثقافة في خلق الفرد السليم ، والأمة الراشدة لا يمكن المراء فيها ، وثقافتنا الإسلامية القديمة تحتاج إلى تمحيص ينفي منها الدخل والشوائب، ويثبت على ضوء الكتاب المعصوم والسنة الثابتة ، ثم لا بد من نقد بريء للطريقة التي سار بها العالم الإسلامي من قرون خلت في المعترك العالمي ، ومحاكمة لهذه الطريقة من الناحيتين العلمية والعملية دون تهيب للساسة أو العوام فإن الحق أكبر من هؤلاء وأولئك ووجه الله أبقى على كل حال ..لقد مرت بالإسلام أربعة عشر قرناً حافلة بالشدة والرخاء والانتصارات والهزائم " (الغزالي ، ركائز الايمان بين العقل والقلب ، 1408هـ-1988م) ويعتبر الغزالي أن كتابه ركائز الايمان جهد مكمل لكتاب الجانب العاطفي في الإسلام " وقد سبق أن قمت بقريب من ها الجهد في كتابي " الجانب العاطفي في الإسلام " وإن كان البحث هنا أطول نفساً وأوسع رقعة ..وخدمة الثقافة الإسلامية لا تزال مجالا قليل الرواد كثير الأعداء ، مع أن حالة المسلمين تستدعي جهود العشرات والمئات من المفكرين المخلصين(الغزالي ، ركائز الايمان بين العقل والقلب ، 1408هـ- 1988م) .

8-2الأساس الفلسفي :

يهتم الأساس الفلسفي بتربية النزعة الإنسانية وفق أهداف التربية الإسلامية المشتملة على "1-إصلاح العقل والجسم والقلب، والمساواة بين الذكر والأنثى، وتأكيد الجانب الإيماني والعقائدي والاهتمام بالتعليم وصحة الجسم والبدن. 2-الارتقاء بالشخصية المسلمة بحيث تعمل على تحقيق الشمول والتكامل والاعتدال والتوازن والوضوح وعدم التناقص والتطبيق العملي والتشريع والتطور والاستمرار والتنمية الخلقية والروحية، والحرص على طلب العلم وبناء مجتمع تسوده المساواة. 3- إعداد الشخصية الإنسانية التي تتحلى بصفات الصدق والأمانة والوفاء والإخلاص، وأدب الحديث والجود والصبر والكرم وغيرها، والانتفاع بالوقت والاتعاظ بالزمن. 5- تنمية ذكاء الإنسان وتنمية قدراته على التأمل والنظر والتفكير. 6- تقوية الروابط بين المسلمين. 7- تحقيق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة حسب مقداد يالجن ومحمد الغزالي" (مهنى محمد إبراهيم غنايم، المرجع نفسه: 374).

يقول الغزالي : والنفس الإنسانية كذلك عندما تعج بوساوس الشر وتضطرب بها أساليب الفكر ، فليس يصلحها تغطية هذه العيوب بثوب من المراسم والمناسك ، فإن التزكية المنشودة لا تتحقق إلا بالشفاء من هذه الآفات ﴿ وَنَفسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقوَاهَا قَدَ افلَحَ مَن زكَّاهَا وَقَد خَابَ مَن دَسَّاهَا "﴾ (الشمس : 10) وشارات التدين واجبة الرعاية ، وشرائع الصلاة والسلام وما إليها لا يمكن التهاون بها ولا التنازل عنها ،بيد أن بعض الناس يسيء إلى الدين عندما يهمل تهذيب طباعه وتقويم عوجه ، ثم يحرص على التمسك بشعائره ، كما يمسك الملوث قطع الصابون بيده ، دون أن يذهب بها درناً ، والأديان دائمًا تصاب من سو الفهم لها ، ومن سوء العمل بها ((الغزالي ،ركائز الايمان بين العقل والقلب ، 1408هـ-1988م).

ويشتمل الأساس الفلسفي في أولى تكويناته على إصلاح العقل والجسم والقلب والمساواة بين الذكر والأنثى يراعيه الغزالي ، ويعتبر أن الإسلام مع قيامه على العقل وترحابه بالفكر الجيد والبحث الأصيل وحضه على الارتباط المادي والمعنوي بالكون عملا وتأملا فهو يعقد أوثق العلاقات بالقلب اليقظان والمشاعر الجياشة " والعلاقة بين جسمه وروحه وعقله من الامتزاج والتعقيد بحيث يستحيل فصمها إلا بالموتى (الغزالي ، ركائز الايمان بين العقل والقلب ، 1408هـ- 1988م) وفي علاقة الذكر بالأنثى ثمة محاولة تكريس الأولوية للذكر على الانثى وإثبات منطق التبعية ، يرى الغزالي أن الإسلام محا هذا المنطق وبين أن النساء شقائق الرجال وهم سواء في تكاليف العقائد والعبادات والأخلاق وهم سواء في استحقاق الثواب والعقاب ، بما يعانون من جهد في سبيل الله والزعم بأن الذكورة والانوثة تؤخر صاحبها لون من الكذب (الغزالي م.، الطريق من هنا ، 1996) والتعليم –حسب الغزالي روح الإسلام ولا كفالة لمستقبله لا بهما ، والناس في نظر الإسلام أحد رجلين : إما متعلم يطلب الرشد وإما عالم يطلب المزيد وليس بعد ذلك من يؤبه له .

ويخص المكون الثاني في الأساس الفلسفي الارتقاء بالشخصية المسلمة ، بحيث يعمل على تحقيق الشمول والتكامل والاعتدال والوضوح وعدم التناقض والتطبيق العملي والتشريع والحرص على طلب العلم وبناء مجتمع تسوده المساواة ، فميزة الشمول في الإسلام تقرر ما ينبغي عمله في كافة الشؤون المتصلة

بنواحي الحياة من أحكام ومعاملات ، بخصوص التطبيق العملي يرى –الغزالي – ان إشراف العقيدة واجب أن لا يغيب عن عمل ما ، وأن مراقبة العزيز الحكيم يجب ان تضبط كل عاطفة .والمكون الثالث يتعلق بإعداد الشخصية الإنسانية التي تتحلى بصفات الصدق والوفاء ، والأمانة والإخلاص وأدب الحديث والجود ، والصبر والكرم وغيرها ضمنها الغزالي في كتاب – خلق المسلم وقدمت الدراسة تحليلا منهجياً لبناء النص الغزالي ، وتنمية ذكاء الإنسان وتنمية قدراته على التأمل والنظر والتفكير

8-3- والأساس النفسي (السيكولوجي) يخص الفرد المتعلم ذاته حاجاته ودوافعه، تكوينه البيولوجي ومزاجه النفسي وتركيبه العقلي، نموه في مختلف جوانبه وكيفية ذلك النمو وأحواله حسب عبد الغني النوري **وعبد** الغني عبود في كتابهما نحو فلسفة عربية للتربية، " يرى الغزالي في معطى الفرد أن التربية الإسلامية الأولى أوغلت إلى حد هائل في دراسة النفوس وأحوالها والقلوب وأطوارها مستهدفة من هذه الدراسة جعل السعادة العظمى تنبع من داخل الإنسان لا من خارجه ،وهي تتعامل مع العلة بشكل عملي يتجه إلى حسمها مباشرة وتأخذ السبيل إلى النفس من أقصر طريق .

ومظهر المعرفة أو تربية العقل وإذكاء الموهبة ليست برأي الغالي أمراً هيناً ، فمراحل التعليم في المدرسة وكذا التجريب في الحياة واستيراد الأفكار ، وضم ما نعرف إلى ما لا نعرف والنظر في الجديد نظرة تلطف وإيلاف لا نظرة جمود في آفاق العلوم وحسن به ميزة المنهج التربوي الإسلامي الذي يقوم على الصدق العقلي ويبتعد عن الخرافة ، " فالتربية الصحيحة تقوم على وعي عام لغايات الوجود ثم على وعي مفصل بمعالم الكمال التي أسهب الدين في رحها واستفاضت أنباؤها في الكتاب والسنة " (الغزالي م.، المحاور الخمسة في القرآن، 1409) والوجدان كمظهر ثان للنفس الإنسانية حال تفاعله بالقرآن الكريم ينقل من ميدان التصورات النظرية المعزولة إلى ميدان العور الحي المأنوس ، وبذلك تتحقق واقعية التربية الإسلامية انطلاقا من واقعية الإيمان .

والمظهر الثالث للنفس البشرية –السلوك –يحصل كنتاج خلقي لكلمة التوحيد إذ تقصد أمرين أولهما : إحقاق الحق وإبطال الباطل ، وثانيهما : ضبط السلوك البشري داخل نطاق ها التوحيد فيكون استنصار الإنسان بالله واسترزاقه وتوكله وأمله وأمنه وغير ذلك من المعاني التي تحث عليها التربية الإسلامية

المكونات الثلاث للنفس البشرية يستوعبها فكر الغزالي التربوي بالنظر إلى طبيعة الثقافة الغالية المزدوجة التي تجمع بين تراث الإسلام العلمي وبين نتاج الحضارة الغربية في أدب النفس والسلوك ، وبذلك تتحقق الأسس الثلاثة قفي فكر الغزالي التربوي وتستجيب لشروط بناء النظرية في التربية الإسلامية .

9-السؤال الثاني : مدى استجابة فكر الغزالي التربوي لشروط بناء النظرية العلمية ؟

9-1-**الشرط الأول** : أن تكون المادة معبرة عن فكرة أو أفكار ومبادئ واضحة ومركزة ومتسلسلة تسلسلا نظاميا ومنطقياً بعيداً عن التعقد والتشوش والارتباك ، فالجانب العقدي للتربية الإسلامية يوضحه الغزالي كعمل إصلاحي لعلم الكلام يقوم به حتى يمكن الانتفاع به في تربية الإمة على الإيمان ، إذ علاقته (علم الكلام) بالتربية واضحة تحتاج إلى جهد علمي نقدي وتقويمي لتخريج القيمة العلمية منه وتوظيفها في فعل التربية الإسلامية يقاوم الالحاد والغزو الثقافي والفراغ " العلماء المتخرجون في المعاهد الإسلامية

الكبيرة يملكون –للاسف – ثروة مشوشة من هذا التراث المختلط ..فهم يعرضون مع الإسلام بلايا ذهنية ورزايا نفسية ، تؤخر أكثر مما تقدم ((الغزالي م.، ركائز الايمان بين العقل والقلب ، 1408هـ– 1988م)

9–2–**الشرط الثاني** :ينبغي أن تكون المادة العلمية للنظرية مشتقة من طبيعة الواقع الاجتماعي وقادرة على معالجة سلبيات وتناقضات الواقع الذي اشتقت من مادتها الأساسية معالجة موضوعية حقيقية ، فكر الغزالي التربوي يهتم بالواقع الاجتماعي ، ويرى أن " حسن الخلق لا يؤسس في المجتمع بالتعاليم المرسلة أو الأوامر والنواهي المجردة، إذ لا يكفي في طبع النفوس على الفضائل أن يقول المعلم لغيره : افعل كذا ، أو تفعل كذا ، فالتأديب المثمر يحتاج إلى تربية طويلة ، ويتطلب تعهدا مستمراً ، ولن تصلح تربية إلا إذا اعتمدت على الأسوة الحسنة ، فالرجل السيء لا يترك في نفوس من حوله أثراً طيباً (الغزالي ، خلق المسلم، 1418هـ، 1987) .

9–3–**الشرط الثالث** : على النظرية أن تكون قادرة ومتمكنة من تفسير الظواهر والملابسات التي تهتم بدراستها وتحليلها والتفسير ينبغي أن تكون عقلانياً مستمداً من طبيعة الظاهرة أو المشكلة المدروسة وليس تصورات وتحليلات وأهواء ومصالح البحث الذي يقوم بدراستها والاهتمام بها

تستوعب أفكار الغزالي التربوية هذا الشرط ، ففي الميدان الاقتصادي يرى الغزالي أن المجتمعات العاجزة الكسولة لا يزدهر فيها دين ، فشعوب الشرق الإسلامي تحتاج قبل أن تفهم الإسلام وقبل أن ينتظر منها إعزاز الإسلام إلى جهود جبارة لرفع مستواها المادي والأدبي وإلى تصحيح إنسانيتنا أولا ، حتى إذا كونا الإنسان الذي يعقل ما يخاطب به ويعرف واجبه نحوه قلنا له انصر ربك ونفسك إذا شئت الحياة الكريمة في يومك وغدك " فالإسلام المكتمل ليس نظرية " علمية أو اقتصادية ، وليس فكرة مجردة عن الله مهما كانت هذه الفكرة صحيحة من حيث التصور والاستدلال ، إنه قلب انفتحت أقفاله ، وانفسحت أرجاؤه وأشرق معنى الحب في جوانبه ، فهو متعلق بربه متتبع لآثاره في كونه ، عاق للخير مبغض للشر يمتد مع كل شيء حسن ، وينكمش مع كل شيء قبيح (الغزالي م.، ركائز الايمان بين العقل والقلب ، 1408هـ– 1988م).

10–خلاصة :

–تشكل الأفكار التربوية " للغزالي المتضمنة في كتبه الأربعة " نظرية تربوية إسلامية معاصرة ، تستوعب الأسس الثلاثة(الأساس التاريخي ، الأساس الفلسفي ، الأساس النفسي) من جهة وتتوفر على الشروط الثلاثة لبناء النظرية العلمية من جهة أخرى ، مع وجود بعض الفوارق المنهجية والمعرفية ، وتتسم مفاهيمها بالترابط والتكامل، وتخلو مادتها من التناقض والتضارب .

–تعبر عن مقولات واضحة غير معقدة قريبة من الثقافة المعاصرة مشتقة من طبيعة الواقع الاجتماعي الذي توجد فيه ، تعتمد على الأصول الأولى –الكتاب والسنة –وتخال بناء النظرية التي تعتمد على أفكار فلسفية أو لاهوتية أو ذاتية واستطاعت معالجة سلبيات وتناقضات الواقع الذي اشتقت منه .

–تفسير الغزالي للظواهر والملابسات النفسية والاجتماعية عقلانية مستمدة من طبيعة الظاهرة المدروسة ويتسم تفكيره التربوي باختفاء التفاوت الكبير بين النظرية الإسلامية في القديم والحديث .

-الإحالات المراجع :

فلوسي مسعود .(**1999**) .الشيخ محمد الغزالي ..غصن باسق في شجرة الخلود .القاهرة :دار وهبة للطباعة والنشر والتوزيع .

الأثير ,ا**1399**) .هـ**1979**-م .(النهاية في غريب الأثر .القاهرة -مصر :دار الشروق.

البخاري ,ح .(**1987**) .التعلم عند الغزالي .الجزائر :المؤسسة الوطنية للكتاب .

البوطي ,م .س .(**1995**) .تجربة التربية الإسلامية في ميزان البحث .الجزائر :دار الهدى .

الجوزية ,ا .ا .(**1995**) .إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان .جدة :دار عالم الفوائد.

الحسن ,إ .م .(**1986**) .الأُسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي .بيروت -لبنان :دار الطليعة للنشر والتوزيع .

الشيباني ,م .ا .(**1996**) .مناهج البحث الاجتماعي .بيروت-لبنان :دار الثقافة .

الغزالي .) ,م .(**2005**) .جدد حياتك .مصر :نهضة مصر للطبع والنشر والتوزيع .

الغزالي ,ع .م**1417**) .هـ .(**1996**السيرة الشخصية للشيخ محمد الغزالي العطاء الفكري للشيخ محمد الغزالي، حلقة دراسية .القاهرة :مكتبة وهبة .

الغزالي ,م**1418**) .هـ، .(**1987**خلق المسلم .الجزائر :مكتبة رحاب .

الغزالي ,م**1408**) .هـ**1988** -م .(ركائز الايمان بين العقل والقلب .الجزائر :مكتبة رحاب .

الغزالي ,م .(**1409**) .المحاور الخمسة في القرآن .دار الشروق :القاهرة .

الغزالي ,م .(**1995**) .قصة حياة .عمان -الأردن :المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

الغزالي ,م .(**1995**) .جدد حياتك .الجزائر :دار المعرفة.

الغزالي ,م .(**1996**) .الطريق من هنا .القاهرة :دار الشروق .

الغزالي ,م .(**2005**) .نظرات في القرآن .القاهرة :نهضة مصر لللطباعة والنشر والتوزيع .

القرضاوي ,ي**1425**) .هـ**2004**-م .(الحياة الربانية والعلم .القاهرة :مكتبة وهبة .

الكيلاني ,م .ع**1409**) .هـ**1987**-م .(فلسفة التربية الإسلامية .المدينة المنورة :مكتبة دار التراث.

شلبي ,أ .(**1954**) .تاريخ التربية الإسلامية .مصر :دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع .

عبود ,ع .ا .(**1979**) .البحث في التربية .القاهرة :دار الفكر العربي .

غنايم ,م .م) .ربيع الأول **1411**هـ -أيلول -سبتمبر .(**1991**أسس بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة،، بحوث المؤتمر التربوي، الجزء الثاني .عمان -الاردن .

قطب ,ق .ع .(**1988**) .خطب محمد الغزالي .الجزائر :مكتبة رحاب .

ملكاوي، ,م .م) .ربيع الأول **1411**هـ -أيلول -سبتمبر .(**1991**

منظور ,ا .(**1991**) .لسان العرب .بيروت لبنان :دار صادر .